



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة التحقيق

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ،  
ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له .  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .  
﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ،  
وَبَثَّ مِنْهَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ  
عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون ﴾ .  
﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر  
لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ .

وبعد :

فقد اقتضت إرادة الله تعالى أن تختم رسالات السماء ، برسالة إنسانية عالمية ،  
فكانت رسالة نبينا محمد ﷺ هداية ربانية للعالمين ، أتمَّ الله تعالى بها النعمة على  
الأمَّة ، ورضيها لها ديناً : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي  
ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (١) ، وجعلها الله تعالى روحاً ونوراً للبشرية ، إذ أن  
الحياة الحقيقية تتوقف على الروح ، والهداية تتوقف على النور الذي يضيء الطريق  
لهذا الإنسان ، فيسلكه وهو يبصر سرَّ وجوده وغايته :

﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن  
جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ، صراط  
الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ (٢) .

( ١ ) سورة المائدة ، الآية : ٣ .

( ٢ ) سورة الشورى ، الآيات : ٥٢ و ٥٣ .

## جميع حقوق الطبع محفوظة

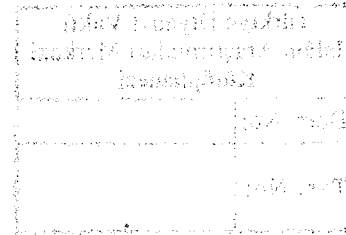
الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

الطبعة الثانية

١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

طبعة منقحة ومصححة



وقد جمعت هذه الرسالة الأمة كلها بعد تفرق وتمرق وشتات ، ومنحتها العزة والكرامة الحقيقية بعد أن كانت مستذلة لشهواتها أو لأعدائها ، بصورة من الصور ، ورفعتها إلى آفاق عالية ومكانة سامية بعد أن تردت في مهاوي الضلال والضياع ، فلم يكن عجباً أن يمتن الله تعالى عليها بهذه الوحدة وذاك التآلف للقلوب الذي جعلهم إخواناً ، وبهذه الرفعة والإنقاذ :

﴿واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ (١) .

وقد كانوا قبل إنقاذه إياهم بمحمد ﷺ ، أهل كفر في تفرقهم واجتماعهم ، يجمعهم أعظم الأمور : الكفر بالله وابتداع مالم يأذن به الله ! حتى بعث الله تعالى محمداً ﷺ ، برسالته العامة الخالدة ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه تبارك وتعالى ، وترك هذه الأمة على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، ولا يجنح عنها إلا من سفه نفسه .

ومن تمام النعمة ، التي أنعمها الله على هذه الأمة ، نعمة أخرى ، حفظ الله تعالى بها دينه ووحيه المتلو ، وهو القرآن الكريم : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (٢) ، ومن مقتضيات هذه النعمة أن يحفظ الوحي غير المتلو ، وهو السنة النبوية ، من خلال جهد أولئك العلماء الأتقياء وجهادهم ، وهم الذين ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين ، وتأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين ، لتبقى هذه الأمة على الجادة من الطريق المستقيم ، لا تفرق بها السبل ولا تتنازعها الأهواء :

﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ،

ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ (١) .

وما أقسى الوعيد ! وما أشد التهديد عندما تنتكب الأمة الطريق وتتبع غير سبيل المؤمنين :

﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم ، وساءت مصيراً ﴾ (٢) .

\*\*\*

ولقد كانت هذه الأمة في عصورها الأولى مستمسكة بما أوحى الله تعالى إليها ، معتصمة بكتاب ربه وسنة نبيها ﷺ بعيدة عن كل انحراف أو اختلاف في العقيدة وأصول الدين ، رغم ما قد يقع من خلاف بينها في بعض المسائل الفرعية أو الأحكام الفقهية ، وكانت أبعد ماتكون عن البدعة ومخالفة السنة ، وكلاهما يغلق أبواب الرحمة ، وكلما اقتربنا من عصر الوحي والتنزيل ، ابتعدنا عن البدعة وعن الاختلاف والتفرق في الدين ، تماماً كما نجد في انحراف البشرية عن التوحيد الذي بعث الله تعالى به رسله ، عندما يطول عليها الأمد ، فيبعث الله تعالى واحداً من رسله الكرام ليعيد الناس إلى توحيد الله تعالى وعبادته .

وكذلك يبعث الله تعالى لهذه الأمة ، كلما ابتعدت عن السنة ، من يعيدها إليها ، ويصحح لها ما قد تقع فيه من انحراف في التصور أو السلوك ، هذا الانحراف الذي ينشأ بسبب جملة من العوامل الداخلية النفسية في كيان الأمة ، والعوامل والمؤثرات الخارجية الأجنبية عنها ، وما أكثر ماتضافرت هذه العوامل وتجمعت ، فكان لها من الأثر ما كان ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى قد تكفل ببقاء هذا الدين وحفظه — وقد هيأ الأسباب أيضاً لذلك كله — لأصبح أثراً بعد عين ، لكثرة ملاقى من الكيد والهجمات على كل صعيد وفي كل زمان ، ولكن الله غالب على أمره :

( ١ ) سورة الأنعام ، الآية : ١٥٣ .

( ٢ ) سورة النساء ، الآية : ١١٥ .

( ١ ) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣ .

( ٢ ) سورة الحجر ، الآية : ٩ .

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾<sup>(١)</sup> .  
﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم وأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿ إنهم يكيّدون كيّداً ، وأكيد كيّداً ، فمهّل الكافرين أمهلهم رويداً ﴾<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

وفي القرن الخامس الهجري ، وفي بلاد الموصل بالعراق ، عاش الشيخ عدي ابن مسافر الأموي الهكاري ، رحمه الله تعالى ، وكان عالماً فاضلاً ، من أفاضل عباد الله الصالحين ، وأكابر المشايخ المتبعين ، وله في الأمة صيت مشهور ، وذكر حسن ، وقد كتب الله تعالى له القبول بين الناس ، وكان له فيهم تأثير ، وبعد وفاته ، رحمه الله ، نشأت فرقة غالية ، تجاوزت الحدّ في تعظيمها للشيخ عدي ، وغالت غلوّاً كبيراً ، يخالف أصول العقيدة الإسلامية ، والتي كان عليها شيخهم عدي نفسه<sup>(٤)</sup> .

فكان من الواجب على علماء المسلمين ، من ذوي العقيدة الصحيحة ، أن يقوموا بتصحيح الانحراف وردّ الجامحين عن الحقّ إلى جادة الطريق المستقيم ، وقد قام بهذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، فكتب رسالة إلى أتباع عدي بن مسافر ، يذكرهم فيها بما كان عليه سلفهم من المشايخ الذين يقتدون بهم ويتبنون في الطريقة إليهم ، ويبين لهم ما ينبغي أن يكونوا عليه من الاعتصام بالكتاب والسنة ويحذّره من أسباب الضلال ، ليحيا من حيّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة .

( ١ ) سورة الصف ، الآية : ٨ .  
( ٢ ) سورة التوبة ، الآيات : ٣٢ ، ٣٣ .  
( ٣ ) سورة الطارق ، الآيات : ١٥ — ١٧ .  
( ٤ ) سنلمع — بإذن الله تعالى — إلى هذا في ترجمة الشيخ عدي ، فيما سيأتي ، أنظر : ص ( ٢٥ ) من هذه الرسالة .

وقد عرفت هذه الرسالة باسم « الوصية الكبرى » ، وهي في الجزء الثالث من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله ، المطبوع في الرياض بترتيب الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، رحمه الله ، وفي المجلد الأول من مجموعة الرسائل الكبرى .

ولما لهذه الرسالة النفيسة من أهمية بالغة في إلقاء الضوء على أدب علمائنا في المناصحة ، ولما تتضمنه من أفكار في العقيدة الإسلامية ، ينبغي أن يعرفها كل مسلم ، ولما فيها من الحث على التمسك بالسنة ، مع بيان آثار المخالفة عنها ، ولأهمية ماعرضه شيخ الإسلام من أصول الضلال ، التي ينبغي على المسلم أن يحذرها ، رأينا أن نفردها بهذه النشرة المستقلة ، تعميماً للفائدة ، وتصحيحاً لما نجده من أفكار انتشرت في عصرنا هذا ، واستشرت بين كثير من المسلمين ، شبيهة بما عاجه شيخ الإسلام في رسالته وبما واجهه فيها .

وسنلمع فيما يأتي — إن شاء الله تعالى — إلى مضمون هذه الرسالة بخطوط عريضة ، وإشارات سريعة ، تعطي فكرة كلية موجزة عن مجمل أفكارها ، ثم نشير إلى طريقة عملنا في إخراجها ، يعقب ذلك فقرتان ، نترجم فيهما ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وللشيخ عدي بن مسافر ، رحمهما الله تعالى ، ومن الله تعالى نستمد العون والتوفيق .

## مضمون الرسالة

★ استهلّ شيخ الإسلام رسالته ، بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه ، ببيان فضل الله تعالى على البشرية ببعثة محمد ﷺ ، وأثر هذه البعثة في هذه الأمة التي جعلها الله تعالى خير أمة أخرجت للناس ، كما جعلها الأمة الشاهدة على سائر الأمم ، والرائدة لها .

★ وامتازت هذه الأمة بأن خصّها الله تعالى بالشرعة والمنهاج الذي جعله لها ، فقد بُعث النبي ﷺ بأمرين هما : أصول الإيمان ، والشرعية ، إذ أن كل دين من عند الله تعالى يتضمن عقيدة وشرعية تنظّم حياة الناس .

ومن خصائص هذه الأمة أن الله تعالى عصمها من أن تجتمع على ضلالة ، وجعل من تقوم به الحجّة إلى يوم القيامة ، ومن هنا امتاز أهل الحق من هذه الأمة من أهل السنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يُعرضون عن سنة رسول الله ﷺ وعن جماعة المسلمين .

★ وهنا يبين ، رحمه الله ، سمات هذه الطائفة المتمسكة بالكتاب والسنة ، وهي الطائفة الناجية ، ومن أهم سماتها « الوسطية » فهم وسط في النحل ، كما أن الإسلام وسط في الملل .

— فالمسلمون وسط في : أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين ، فلم يغلوا فيهم كما غلت النصراني ، ولم يحضوا عنهم كما جفت يهود .  
● وهم وسط في : شرائع دين الله ، فلم يحرموا على الله أن ينسخ ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ، كما قالت اليهود ، ولا جوزوا لأكابر علمائهم أن يغيروا دين الله فيأمروا بما شأوا وينهوا عما شأوا كما يفعله النصراني .

● وهم وسط في باب الخلق والأمر .. وفي صفات الله تعالى .. وفي باب الحلال والحرام .. إلخ .